المعجزة العلمية في:

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ . آل عمران ٣٦

د.عبد الوهاب الراوي

www.eajaz.org

التشريح والأجنة

هذا البحث جديد في محتواه والمراجع التي استندت إليه. كان المعتقد ماضياً بأن عدم المساواة بين المرأة والرجل يعود إلى اللا تماثل في بدنيهما؛ في حين اكتشف العلم الحديث بأن اللا تماثل قائم بين دماغيهما أيضاً!

يتصل البحث مبدئياً في المعجزة العلمية في الآية الكريمة: .. وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى.آل عمران ٣٦؛ على حين يمكن أن تنسحب على هذه المعجزة معجزتين أخريين: لشهادة امرأتين أساس علمي بيولوجي، لتعدد الزوجات أساس علمي بيولوجي.

فاتحة:

لمئات السنين لم يكن للمرآة حظاً كبيراً لمشاركة الرجل في العمل؛ ولكن في القرن الثامن عشر ميلادي تبلورت حركة الديمقراطية وحركة مساواة المرأة بالرجل في أوربا وأمريكا. فتصاعدت صيحات واسعة النطاق بأن موقع المرأة ليس البيت لإدارة الأسرة حسب؛ إنما في مواقع أخرى من المجتمع تشترك فيها مع الرجل على حد سواء، بحيث اشتدت تلك المناداة في دول أوربية إلى درجة حلت المرأة محل الرجل في العمل، فانعكست الصورة فصار موقع بعض الرجال البيت وموقع غالبية النساء العمل! ولست أتحدث في هذا المقام عن معالجة مسألة مساواة المرأة بالرجل من حيث الواجبات والحقوق؛ إنما تقديم ثوابت علمية حديثة العهد على أن المرأة كائن آدمي من نوع والرجل كائن آدمي من نوع آخر. وتبين نتيجة الدراسات الحديثة بأن المرأة تختلف عن الرجل ليس في بنية الجسد؛ إنما في بنية الدماغ أيضاً: وعليه، لا يمكن إحلال المرأة مكان الرجل في أي عمل كان؛ بل للمرأة مقدرات واستعدادات تؤهلها للقيام بدور في الحياة خاص بها، وللرجل مقدرات واستعدادات تؤهله للقيام بدور آخر في الحياة خاص به: فمطلب مساواة المرأة بالرجل كذبة بيولوجية!

www.eajaz.org

لعلك تجد في عدة دراسات وبحوث تفاصيل اختلاف الجنسين في الخصائص الجسدية، لأنها اختلافات موجودة وليس لأحد إنكارها. ورغم الاختلافات الجسدية الواضحة بين الجنسين، ظلت صيحات المساواة بين المرأة والرجل جارية بل متقدمة يوماً بعد يوم، ينادي بها خاصة سياسيون واجتماعيون كورقة رابحة لمواقفهم. على حين كشف لنا البحث العلمي مؤخراً حقيقة ناصعة جديدة هي أن الذكر

والأنثى من الناحية البيولوجية غير متساويين، حيث أحدث هذا المكتشف طفرة نوعية حول التباين بين الرجل والمرأة: فتبين أنهما ليسا مختلفان في الخصائص البنيوية الجسدية حسب؛ إنما في الخصائص البنيوية العقلية أيضاً، والتي من شأنها تقرير أنماط سلوك كل من الجنسين في مختلف مجالات الحياة، حتى أن المكتشفات العلمية لحديثة أظهرت أن دماغ الأنثى أقل وزناً من دماغ الذكر، حيث يزن دماغ الأنثى في المتوسط ٤٤ أونس، أو ما يعادل ١٢٤٥ر٢ غرام؛ بينما يزن دماغ الذكر في المتوسط ٤٩ أونس، أي ما يعادل ١٣٨٦ر٧ غرام: هذه البحوث المتطورة حديثة العهد لم تظهر إلى الوجود سوى في العقود الثلاثة الأخيرة: فباحثون أطباء، علماء، نفسانيون، اجتماعيون، عملوا على تقديم مجموعة نتائج كونت معاً صورة متساوقة لافتة النظر عن اللا تماثل بين الجنسين من حيث بنية الدماغ: فأفرزت بحوثهم أدلة قوية على الاختلاف الحاصل بين بنية دماغ المرأة وبنية دماغ الرجل من ناحية، وبين عمليات تفاعل الهرمونات مع دماغ المرأة وعمليات تفاعل الهرمونات مع دماغ الرجل من ناحية أخرى، حيث يأخذ هذا الاختلاف مأخذه من بداية حياة الإنسان، في الجنين وهو في رحم أمه. وبكلمة مقتضبة، تبين أن دماغ الرجل مصمم للتعامل مع معلومات بصرية ومكانية وللتعليل في الرياضيات أي في التحليل والتنظير، ويتميز بالتركيز في وقت ما على أمر واحد؛ أما دماغ المرأة فمصمم للتعامل مع مهارات متضمنة تفاصيل، طلاقة شفهية، نشاطات تعاقبية متوالية، نشاطات اجتماعية أُلفيّة، ويتميز بالتفكير في وقت ما على عدة أمور، أي التشتت في التفكير. فلا تلُم أصحاب دعوة المساواة بين المرأة والرجل لأنهم لا يعرفون السر البيولوجي مسبب التباين بين المرأة والرجل: إن

الهرمون المُسمى هرمون الذكورة التّستوسترون **Testosterone**، هو المسبب الرئيس للاختلافات البيولوجية بين الجنسين: فالرجل خلق ليحمل هرمون التّستوستورن عشرة أضعاف الذي تحمله المرأة! واعلم أن هذا المكتشف العلمي الباهر كان نتيجة دراسات علمية عديدة؛ على حين جاء متأخراً طويلاً عما أخبرنا به الله تبارك وتعالى في قرآنه العظيم قبل ثلاثة عشر قرن وبإيجاز شديد بكلمات ثلاث فقط حول هذا التباين بين الجنسين في الآية ٣٦ من سورة آل عمران، حيث سيأتيك معنى هذه الآية الكريمة في هذا البحث:

.. وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى. آل عمران ٣٦

إن هذا الحدث العلمي المدهش من شأنه أن يُغضب الداعين إلى المساواة بين المرأة والرجل، فيتذرعون بكون الفوارق من نتاج مؤثرات اجتماعية متخلفة طالما تذرعوا بها. ولكن فليعلم أولئك بأن الفوارق البيولوجية بين الجنسين جبلية سَليقيّة، حتى أنه في الساعات الأولى بعد الولادة تختلف حركات طفلة عن حركات طفل. إذن تأثير المجتمع على سلوك كل من الطفلين ليس بهذه السرعة من الحضور. وليس المجتمع هو الذي يجعل من أبصار امرأة أكثر حساسية لموجات الطيف الطويلة؛ وليس المجتمع الذي يمكّن أنثى بعمر أسبوع (وليس ذكر) من تمييز صوت صُراخ طفل أو ضوضاء بنفس الجهارة: وإجمالاً من جهة الحواس، ليس المجتمع الذي يجعل المرأة أكثر حساسية من الرجل إلى الأبصار، الصوت، المذاق، اللمس. ولم يكن المجتمع حاضراً لجعل الأطفال الذكور عكس الإناث يفضلون الاتصال بأشياء عن الاتصال بأفراد. وفوارق بيولوجية عديدة أخرى سيجيء سردها، أوجدها تعالى في كلا الجنسين لحكمة عميقة لا يستوعبها أحد سوى أولو الألباب.

تباين الذكر والأنثى بحسب العلم الحديث:

وأظنك مستعجلاً لتعرف الاستنتاج الأخير الذي توصل إليه العلماء في هذا المقام؛ فمن جراء التباين الجوهري في الدماغ وعمليات الهرمونات لكل جنس، يمكن القول في مطلع هذا البحث بأن الفوارق بين الذكر والأنثى تبدأ في رحم الأم وتظهر للعالم منذ الولادة: فتأمل إذاً كيف تطرح الباحثة آن موا التفاوت بين الذكر والأنثى في كتابها الحديث "جنس الدماغ **Brainsex**":

> "إنها إحدى القصص الآسرة للحياة والخلق؛ قصة مطوية على نطاق واسع؛ ولكن الآن وأخيراً بدأت تتجلى في كليتها .. نحن نعرف أن الجينات تحمل مخططاً مرموزاً لخصائصنا في الحمض النووي **D.N.A.**، التي تجعل منا ذكراً أو أُنثى. فأي خلية مجهرية من جسم رجل تختلف عن أي خلية مجهرية من جسم امرأة؛ لأن كل خلية من كياننا لها مجموعة مختلفة من الكرموزومات من داخلها، متوقفاً على كوننا ذكراً أم أُنثى."

فالذكر والأنثى مختلفان في كل خلية من كياننا: فمن البحوث العلمية الحديثة في هذا المقام بحث في غاية الأهمية ورد في الفصل الخامس عشر بعنوان "التفاوت بين الذكورة والأنوثة" من كتاب أريك جَنسين **Eric Jensen** لسنة ١٩٩٥، والذي استند في بحثه بالإضافة إلى معارفه الشخصية، إلى عدد غير قليل من خبراء علم الوراثة، علماء الجهاز العصبي، اختصاصيين في طب الجهاز العصبي، ونحوهم. وبحث آخر بعنوان "الفوارق بين الجنسين" في الفصل السادس من وضع أليانور ماكوبي **Eleanor Maccoby** في كتابها التطور الاجتماعي **Social Development** لسنة ١٩٨٠ – كلا الباحثين أساتذة في جامعات أمريكية. أضف إلى ذلك، بحثان رائعان قدمتهما آن موا **Anne Moir** وهي معروفة بشغفها في البحث عن الفوارق بين الجنسين، حيث قدمت بالاشتراك مع ديفيد جَسيل كتاباً في هذا الشأن سنة ١٩٩١ بعنوان "جنس الدماغ **Brainsex**"، وفي سنة ١٩٩٩ ألفت كتاباً جديداً آخر بعنوان "لماذا الرجال لا يكوون **Why Men Don't Iron**" الذي يبحث أيضاً في حقائق الفوارق بين الجنسين.

وأقدم لك هنا الذي توصل إليه أريك جَنسين بشأن الفوارق بين الذكر والأنثى، مع تعزيزات مناسبة مما طرحه مؤلفون آخرون. فبعد بحث مجهد طويل مع الاستعانة بآراء عدة علماء في الوراثة والأعصاب، تمكن أريك جَنسين من تنظيم وتقديم سبعة فوارق تفاضلية مركزية بين ذكر وأنثى من حيث تركيب الدماغ البنيوي وعملياته:

www.eajaz.org

الفوارق بين الذكر والأنثى

١. تعيين الهرمون الذكري التَّستوستورن لجنس الدماغ	**Male Hormones Bias on Sexuality**
٢. التفاوت بين تطور دماغ الذكر والأنثى	**Male & Female Brains Develop Differently**
٣. دماغ الذكر والأُنثى مختلفان بنيوياً	**Male & Female Brains Structurally Different**
٤. تباين تعامل دماغ الجنسين مع المعارف المستلمة	**Males & Females Process Input Differently**
٥. اختلاف مقدرة الجنسين لتأدية الأعمال	**Males & Females Differ in Jobs Performance**
٦. دماغ الإناث مبنيٌ لأعمال متعددة في آن واحد	**Female Brains Built for Multi-Tasking**
٧. تقلب نشاط ومزاج المرأة خلال دورة الطَمث	**Optimal Monthly Learning Cycle**

www.eajaz.org

١ – الهرمون الذكري التَّستوسترون وتعيين جنس الدماغ:

الهرمون الذكري التَّستوسترون **Testosterone** أو هرمون منشط الذكورة هو المؤثر الأكبر على الدماغ وبقية الجهاز العصبي المركزي: فيقوم بدور تحديد جنس الدماغ ابتداء من طور الجنين في رحم أمه وحتى تدفق هرمونات الحُلُم في سن البلوغ. تتحدد مستويات الجنس لدماغ الجنين نسبة إلى كمية هذا الهرمون في الرحم، والذي أصلاً تفرزه الخصية، وبهذا تلاحظ مرة أخرى أولوية الرجل على المرأة في تحديد نمط جنس الدماغ والبدن للجنين. وبالتالي تتحدد الاختلافات في السمات العقلية بين الجنسين: كنمط الإدراك، القابلية والاستعداد، الاهتمام والولوع، ونحو ذلك[Θ]. قام عالمي الوراثة موا **Moir** و جيسيل **Jessel** بإجراء ٦٥ دراسة حول الدور الذي يقوم به هرمون التَّستوسترون في تحديد الجنس، إذ أعطت تلك الدراسات برهاناً حاسماً على أن هذا الهرمون هو المفتاح في تطور جنس الدماغ إلى ذكري أو أنثوي. ففي الأسبوع السادس الذي يلي الحمل، يتحدد نهائياً نوع الجنس بكمية الهرمون الذكري التستوسترون في الرحم. فإذا كانت المُضغة أنثى **(XX)** ولا تتعرض لكمية كبيرة من هذا الهرمون في الرحم، فسيكون الجنين أنثى من حيث المظهر والدماغ معاً. أما إذا تعرضت المضغة الأنثوية إلى كمية قليلة من هذا الهرمون، فستكون النتيجة بدن أنثوي بدماغ ذكري. على حين يؤدي تعرض المضغة إلى كمية كبيرة من الهرمون الذكري إلى أن يكون بدن الجنين ذكراً ودماغه ذكراً أيضاً حتى ولو كانت الكروموسومات أصلاً أنثوية **XX**، ذلك بإطلاق هذا الهرمون "تعليمات" إلى بدن الجنين بعدم تطوير جهاز تناسلي أُنثوي.

وينسحب على هذه الظاهرة حال الشاذ جنسياً من الرجال والنساء، حيث يتباينون في السلوك من جراء مقادير الهرمونات التي تؤثر على الجنين: فتلاحظ من سلوك رجل شاذ، أي مشته النظير أو اللّوطي، والذي يحمل مستوى أقل من هرمون التستوسترون، ميّال إلى أو مشابه لسلوك الإناث أكثر من الذكور: فسلوكه أقل عدوانية ومغامرة، دماغه مهيأ لأداء أعمال متعددة، نزّاع لاكتساب مهارات التآلف الاجتماعي وتنشئة ورعاية الآخرين، كما هو الحال في نزعات و ميول الإناث. وعلى العكس، فتلاحظ من سلوك امرأة شاذة، أي المُساحِقة أو مشتهية النظيرة، والتي تحمل مستوى أعلى من التستوسترون، ميّالة إلى أو مشابه لسلوك الذكور أكثر من الإناث: فيميل هذا النوع من النساء إلى القيام بأعمال بدنية، سلطوية، تقنية، ونحو ذلك من ميول الرجال في الأعمال.

فهرمون التستوسترون المفتاح في تطور دماغ أي من الجنسين إلى دماغ ذكري أو دماغ أنثوي أو ما بين الجنسين: فتجد نساء ذوات دماغ ذكري لارتفاع هذا الهرمون عندهن عن المستوى المعتدل. فكانت هناك حالات محدودة من نساء من هذا الطراز ممن تفوقن استثنائياً على الرجال في بروزهن في مناصب الإدارة العليا، أو على المسرح السياسي ثم قيادتهن دول ذات شأن؛ ولكن كانت نسبية هذه الحالة في التاريخ الحديث جزئية استثنائية إلى نسبية الرجال: فبوجود استثناء يثبت وجود القاعدة، والمنطق القياسي لا يسمح باستخراج قاعدة من حالات استثنائية جزئية، أو تعليل حالات عادية باستخدام حالات فوق عادية. فمن أمثلة النساء اللاتي برزن استثنائياً على المسرح السياسي في التاريخ: نفرتيتي (١٣٨٠-١٣٦٦ ق م) التي تمتعت بتفوق سلطوي استثنائي وراء زوجها الفرعون إخناتون، والتي ساهمت بنشاط متميز في حركة الإصلاح الديني الذي فرضه زوجها؛ جان دارك (١٤١٢-١٤٣١م) بطلة قديسة فرنسية ذادت عن بلادها ضد الإنكليز خلال حرب المائة سنة، اتهمت أخيراً بالهرطقة فأحرقت على وتد في روان؛ بينازير بوتو ترأست دولة باكستان سنة ١٩٨٨؛ مارجريت ثاشر رئيسة وزراء المملكة المتحدة لثلاث دورات من سنة ١٩٧٩ لغاية ١٩٩٠، ١١ ,٤ :HAUGHTON. فليس من المنطق القياسي إذن القول من الممكن رئاسة امرأة لأي دولة لأن السيدة ثاشر ترأست حكومة بريطانية. على حين الولايات المتحدة الأمريكية وهي دولة عُظمى متميزة في التحرر والديموقراطية وأبواب مسرحها السياسي مفتوحة لأفضل الفرص أمام كلا الجنسين، كان رؤساؤها الـ ٤٣ رجالاً على مدى تاريخها المائتين سنة!

في بداية الملاحظة العلمية للدور الذي يقوم به الهرمون الذكري التَّستوسترون في تحديد جنس الجهاز التناسلي للجنين، كان العلماء في حيرة يتساءلون: لماذا الأسبقية العالية المعطاة إلى تنظيم وتطوير الجهاز التناسلي في الدور الجَنيني؟ مع إن الجهاز التناسلي لا يقوم بوظيفة التناسل إلا بعد سنين عديدة. ولكن تبين لعلماء الأجنة أخيراً بأن العجالة في تكوين واكتمال الجهاز التناسلي في الدور الجنيني ببساطة ليس الهدف النهائي؛ إنما للجهاز ذاته وظيفة أخرى تبدأ مباشرة بعد ولادة الجنين الذكر، الذي يحمل دماغ

(أفئدة) غير متطور: فيباشر الجهاز التناسلي ذاته للطفل الذكر بإنتاج كميات كبيرة من الهرمون الذكري التَّسبوسترون لدفع عجلة تطوير دماغه إلى دماغ ذكري، ويستمر إنتاج الهرمون الذكري في أطوار الطفولة فالصبا فالمراهقة، من أجل اكتمال تطور الدماغ أو القوى العقلية أو "الأفئدة" تسمية القرآن الكريم. "وتدفع الهرمونات في النهاية الرجال إلى سلوكية العُدوانية والمغامرة وإعطائهم مزيداً من الثقة والتركيز والعزم، وتدفع النساء إلى سلوكية ومزاج لا عقلاني متأرجح وإلى تنظيم وإدامة علاقات قوية مع الناس حولهن." ١٨١-١٨٠ **Moir & Jessel**.

٢ – التفاوت بين تطور دماغ الذكر والأنثى:

أظهر البحث العلمي الحديث التفاوت في تطور الدماغ بين الجنسين خلال السنين الأولى من عمر الطفل (من الأشهر الأولى وحتى سن الخامسة): فتبين في تجربة أجريت على ٢٠٠ طفل أن دماغ البنين يتطور أسرع من دماغ البنات في التخصص وفي القدرة على إنجاز أعمال ذات طابع مكاني **spatial ability**. وأظهرت التجربة فيما يتعلق باللغة أن البنات تتفوق على البنين في تعلمها، كما تتعلم البنات اللغة أبكر من البنين. وعلى وجه العموم، البنين أبطأ من البنات في فهم اللغة واستعمالها ٢١٠ **Maccoby**. وأظهرت دراسة أخرى أن البنات أقل استعداداً من البنين في تعلم واستيعاب الرياضيات في مستويات عليا من الدراسة، لذلك وُجد المعدل ١٣ ذكور إلى ١ إناث في صفوف الدراسات العليا للرياضيات الأمريكية. والتباين ليس في تطور الدماغ بين الجنسين حسب؛ إنما في انحلال خلاياه أيضاً: فدماغ الإناث يمتد أطول عمراً من الذكور في المطاوعة أو الليونة **Plasticity**، أي بقاء دماغ الإناث مفتوحاً للنمو والتغيير لسنين أكثر في النساء من الرجال. ويسبق الذكور الإناث في انحلال أو تفسخ الخلايا العصبية بعشرين سنة، على الرغم من أن معدل فقدان تلك الخلايا أعظم في الإناث منه في الذكور ٢٨٥ **Jensen**.

www.eajaz.org

والبنون المراهقون أكثر بدانة من البنات، ذلك لأن الجزء المعني من دماغ البنين أكثر تطوراً آنئذٍ منه في البنات؛ على حين جزء الدماغ المعني بمهارات التفاعل الاجتماعي هو أكثر تطوراً في البنات من البنين، حيث يقوم ذلك بدور هام من حياة المراهقات. ولذلك لوحظ نتيجة ملاحظات تجريبية أن الأطفال الإناث يفضلن اللعب مع رفيقاتهن؛ بينما الأطفال الذكور تفضل اللعب مع أشياء. أضف إلى ذلك الذي

أثبتته تجارب نفسانية بالملاحظة، تباين أنماط العلاقة مع الوالدين بين البنين والبنات: فالبنين أكثر مقاومة وتحدي لأساليب الوالدين للتربية والتنشئة، وهم أكثر إلحاحاً في مطالبهم من الوالدين، لذلك يسود غالباً أسلوب الضبط والتأديب على علاقتهم مع الوالدين؛ بينما لوحظ أن البنات أكثر مطاوعة لتربية وتنشئة الوالدين، وأكثر قناعة بعطاء الوالدين، لذلك تتصف علاقاتهن مع الوالدين بالتفاعل المتبادل وبالمشاركة في النشاطات بخاصة مع الأم ٢٢٢ **Maccoy**.

٣ – دماغ الذكر والأُنثى مختلفان بنيوياً:

تمكنت مجموعة من علماء الجهاز العصبي في أمريكا بعد سنين من البحث من التوصل إلى استنتاجات عميقة: فتبين أن دماغ الذكر ودماغ الأنثى مختلفان ليس من حيث أداء عمليات عقلية حسب؛ إنما هما مختلفان بوضوح أيضاً من حيث بنيتهما. وأضيفت إلى بحوث أمريكان للجهاز العصبي بحوث كنديين أمثالا ستيوارت من جامعة كونكورديا بمونتريال وكولب من جامعة ليثبريدج في ألبرتا، جميعهم اتفقوا على أن بنية الدماغ تأخذ خطوطاً متباينة بين الذكر والأنثى منذ الأيام الأولى من حياتهما، إلى أن تظهر بكل وضوح عند بلوغ سن الرشد ٢٨٨ **Jensen**. فتفسر هذه الفوارق البيولوجية بجلاء العمليات المنهجية المختلفة التي يقوم بها كل من دماغ الذكر والأنثى. فدرجة التركيز **Concentration** أو عكسه التشتت **Dispersion** في التفكير لدماغي المرأة والرجل مختلفين فيما يتعلق بأداء عمل ما: فالرجال يركزون على أداء عمل معين، ولا يصرف انتباههم عن ذلك معلومات طارئة أو زائدة؛ عكس النساء، فقابلية التركيز أقل منها في الرجال، فيغلب التشتت على تفكيرهن. وثبت لعدة باحثين نفسانيين أن الرجال يفوقون النساء في القابلية المكانية، أي المكان جزء هام من أداء الأعمال، فتبين لهم أيضاً أن هذه القابلية عند النساء يسيطر عليها جانبي الدماغ معاً مما يزيد درجة التشتت ويقلل من درجة التركيز مما يزيد من درجة النسيان، لذا تجد مثلاً مهندسات معماريات أقل من الرجال! فالخلاصة إذن دماغ الرجل يعطيه قابلية متميزة على المرأة في التركيز على الشيء المراد إنجازه ؛ بينما دماغ المرأة لا يساعدها كثيراً على التركيز بل التشتت في الأفكار!

دماغ الرجل أكثر تخصصاً من دماغ المرأة: فيختص الجانب الأيسر من دماغ الرجل كلياً في السيطرة على قدرات الفعل؛ بينما يختص الجانب الأيمن في السيطرة على قدرات الأبصار. أما المرأة، فكلا الجانبين من دماغها ينشغلان في التعامل مع كافة المسائل. وبتعبير آخر، تتصف عمليات دماغ الرجل بالتخصص والتركيز؛ مقابل عمليات دماغ المرأة تتصف بالتنوع والانتشار أو التشتت . ومن الجدير بالذكر مكتشف العالمة النفسانية دورين كيميورا والذي أيده علماء آخرون، ذلك بأن وظائف الدماغ ذات العلاقة بميكانيكية اللغة من قواعد ونحجئة وتلفظ، يختلف تنظيمها في الرجل عن المرأة: فموقع هذه الوظائف عند الرجل في أمام وخلف الجانب الأيسر من الدماغ؛ بينما موقعها عند المرأة منحصر ومتمركز في أمام الجانب الأيسر من الدماغ حسب: ولذلك تعلل هذه الحقيقة العلمية تفوق النساء على الرجال في ميدان إتقان اللغة وقواعدها. وأيد هذه النتيجة دكتور سالي شايويتز بتجاربه في جامعة ييل Yale بأمريكا ١٢٠,٤٥-٤٣ Moir & jessel⇓ . ومن الفوارق البنيوية بين دماغ الذكر والأنثى الوزن: فيزن دماغ الذكر في المتوسط ٤٩ أونس، أي ما يعادل ١٣٨٦ر٧ غرام؛ بينما يزن دماغ الأنثى في المتوسط ٤٤ أونس، أو ما يعادل ١٢٤٥ر٢ غرام ٢٨٦ Jensen.

www.eajaz.org

الجسم الجاسئ:

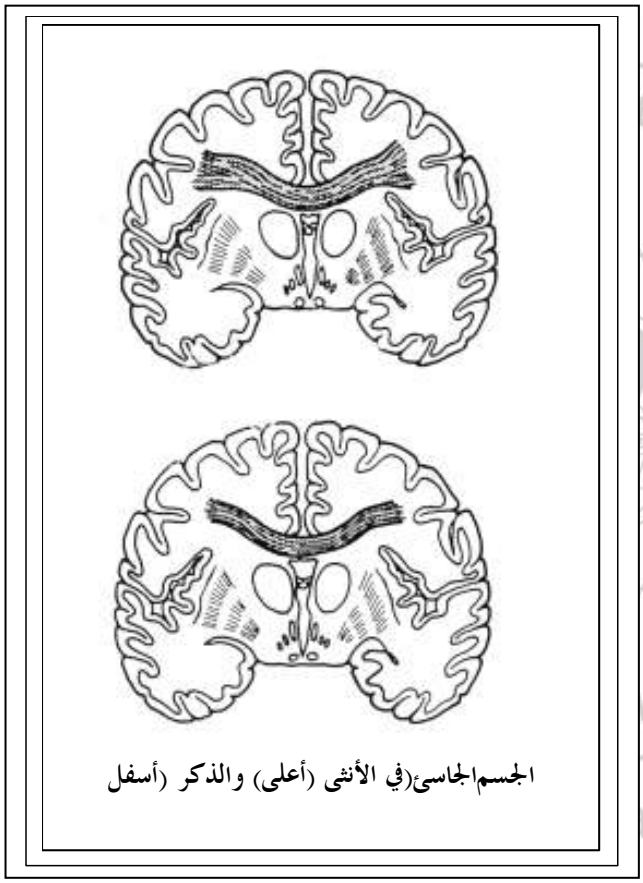

الجسم الجاسئ (في الأنثى (أعلى) والذكر (أسفل

وثمة فرق بنيوي أساس آخر اكتشف بعد اختبارات على ١٤ امرأة أجراها علماء أعصاب، يتعلق بالجسم الجاسئ **Corpus Callosum**، وهو كتلة ألياف عصبية موصلة تربط شطري الدماغ نصف الكرويين: فتبين اختلاف واضح في هذا الجسم الموصل عند دماغي الجنسين: ففي الإناث (الصورة المقابلة العليا) هو أسمك وأكثر انتفاخاً ووزناً وبصلي الشكل منه في الذكور (الصورة المقابلة السفلية)، حيث يعمل على نقل وتبادل معلومات مروريا بين نصفي الدماغ بكميات أكبر في الإناث مما في الذكور. هذا الفرق البنيوي بين دماغي الإناث والذكور من شأنه أن يمد قدرات واستعدادات إضافية للإناث، وينقصها قدرات أخرى: فيجعل هذا الفارق الأساس المرأة أكثر طلاقة ووضوحاً من الرجل في التعبير الملفوظ، يساعدها في أعمال تتطلب التقريب بين يديها والتنسيق بينهما كما في الحياكة والتطريز وأعمال منزلية. على حين ينقصها القدرة على التركيز في الأداء، الذي يُعزى إلى الانتشار والتشتت في أفكارها. كما يعزز ازدياد سمك ووزن الجسم الجاسئ قابلية المرأة على الربط الذهني بين الأشياء والأفكار، وعلى الإدراك والتواصل بصيغ ملفوظة ممزوجة بانفعالات ومشاعر: هذا الفرق ربما يدلنا على مفتاح سر غامض للمرأة هو تفوقها على الرجل في الحَدس أو البديهة! ولما كان الجسم الجاسئ أشبه بجسر يحمل

معلومات مارة بين شطري الدماغ، فيجعل هذا الجسر دماغ المرأة وكأنما "يتكلم مع ذاته Talk to itself" بدرجة أعلى من دماغ الرجل، حيث يُحدث التحاور التلقائي لدماغ المرأة خلفية مشوشة لا سيطرة لها عليها، مما يجعل الانتشار أو التشتت خاصية لتفكيرها، ويعيقها من التركيز على تأدية عمل واحد في آن واحد. وهناك فوارق بنيوية أخرى بين دماغي الذكر والأنثى عبرت عنها عالمة الأعصاب كيميورا Kimura بقولها: "عند اعتبار الفوارق مجتمعة، تعطينا بيّناتها بأن أدمغة الرجال والنساء كانت انتظمت على خطوط مختلفة منذ السنين الأولى من العمر."

٤ – تباين تعامل دماغ الجنسين مع المعارف المستلمة:

يتعامل الدماغ مع معارف مستلمة بواسطة الإدراك الحسي والذي مصدره الحواس الخمس: فتبين للباحثين أمثال جاريه Garai، شينفيلد Sheinfield ومكجي McGee أن دماغ الأنثى مختلف تماماً عن دماغ الذكر من حيث الإدراك الحسي Sensory perception: وإليك موجز للفوارق بين الذكر والأنثى عن هذا الجانب: السمع: تتفوق الإناث على الذكور في حاسة السمع، بما يعادل الضعف تقريباً. ولذلك تجد الأطفال الإناث يتعلمن النطق قبل الذكور. كما تتعلم الإناث اللغات أسرع من الذكور بسبب تفوقهن في السمع وفي الذاكرة اللفظية Verbal memory، لذلك ثلاث أرباع طلاب اللغات الأجنبية في جامعات أمريكا هم من الإناث. الإبصار: يتفوق الذكور على الإناث في الإبصار لمسافات بعيدة وفي الإدراك البصري العميق. إبصار الذكور في النهار أفضل من الليل؛ وإبصار الإناث في الليل أفضل من النهار. وتتفوق الإناث في "الأبصار الحولي أو المحيطي Peripheral vision، أي الإبصار ما جول الشيء المرئي،الذي يعينها على تقدير المسافات بدقة. ومن ذلك يمكن القول أن هذا التفوق في الإبصار الليلي والحولي يعين الأم على عناية أطفالها ليلاً. وتتفوق الإناث على الذكور في الذاكرة الصورية، لذلك هن أعلى قابلية في التعرف على وجوه وأسماء الآخرين Jensen : ٢٩١. اللمس: اللمس اليدوي عند الإناث أكثر حساسية وانتشاراً من الذكور، ويظهر ذلك منذ الولادة، لذلك يتفوقن على الذكور حِذقاً وبراعة في إنجاز أعمال يدوية دقيقة Maccoby ٢٠٨. ويشعرن بالألم أسرع من الذكور؛ ويتحملنه لمدة أطول منهم. الشم والذوق: للنساء حاسة شم أقوى من الرجال، وهن أكثر حساسية للرائحة والعبير ولأي تغير رقيق فيهما. إذن يظهر من هذا الفوارق الحسية أن الذكور في عالم والإناث في عالم آخر، والله سبحانه خلق المرأة وزودها بحواس أقوى نسبياً من حواس الرجل، لتمكنها من أداء وظائف الأمومة وأخرى منزلية رقيقة دقيقة.

٥ – اختلاف مقدرة الجنسين لتأدية الأعمال:

الباحثة كيميورا **Kimura** رائدة منذ عدة سنين في البحث عن الاختلافات البنيوية والوظيفية بين الجنسين. ومن بحوثها الفوارق التي تجعل أحد الجنسين قادرٌ على تأدية أعمال أكثر تفوقاً من الجنس الآخر. فوجدت كيميورا ان الإناث يتفوقن على الذكور في الإنجاز في المجالات التالية: الأعمال الدقيقة والتنسيق الحركي الدقيق **Fine-motor co-ordination**؛ الطلاقة التصوّرية؛ نشاط البحث عن أشياء؛ الاستعانة بعلامات دالة على مواقع مطلوبة وفي استعمال الخرائط: وعلى هذا الأساس تتفوق الإناث على الذكور في أداء الأعمال التالية: أعمال التجميع، أشغال الإبرة بخاصة التطريز، حِرَف يدوية تتطلب غاية الدقة والإتقان، الإنتاج الجهري، أشغال شبكات الاتصال، الخياطة، التمريض، الصيدلة، الفنون الجميلة. أما الذكور، فوجدت كيميورا أنهم يتفوقون على الإناث في المجالات التالية: مهارات بدنية بهدف والتي تتطلب التركيز، كما في ألعاب الرياضة البدنية، مثل الرماية بالسهام، كرة القدم، لعبة المضرب **Cricket**، لعبة السهام المَريشة **Darts**، ونحوها؛ نشاطات ترتبط بمكان وبمسافة؛ التركيز على أجسام دوّارة؛ أشكال ومخططات متداخلة؛ المحاجّة والاستنتاج في الرياضيات؛ أشغال جسمانية ثقيلة. وعلى هذا الأساس تبين أن الذكور يتفوقوا على الإناث في أداء الأعمال التالية: النشاطات الحركية المُجهدة، الميكانيكا، المحاسبة، الهندسة، الرياضيات، البناء والإنشاء، النحت.

فهل هذه الفوارق في المقدرة بين الجنسين لأداء أعمال متباينة ناتجة من مؤثرات جينية وراثية أم من مؤثرات بيئية؟ تستخلص الباحثة كيميورا بقولها: "الاتفاق الجماعي في الرأي هو أن المؤثر الجيني الوراثي يأتي أولاً ثم المؤثر البيئي بعده، فالمؤثران يقومان بالتتابع بتحديد تلك الفوارق" ٢٩٣ **Jensen**. وتضيف آن موا نقلاً عن نتائج بحوث البروفيسور مارفِن زوكرمان **Marvin Zukerman** إلى استنتاجات كيميورا الآتي: الرجال يفوقون النساء في السعي لممارسة نشاطات محفوفة بالإثارة والمخاطر، مثل ألعاب الرياضة الخطرة والهبوط بالباراشوت؛ النساء أقل تأثراً بالسأم من الرجال من جراء ممارسة أعمال رتيبة؛ الفرق معدوم تقريباً بين النساء والرجال في السعي لاكتساب خبرات مثيرة الإحساس كالموسيقى والفنون والسفر. وتبين لك اللوحة بعض الإحصاءات التي قدمتها آن موا في نسبة الرجال والنساء لبعض المهن في بريطانية، والتي تعزز النتائج أدناه التي توصل إليها البحث العلمي في هذا الخصوص، أضف إلى ذلك، آخر إحصاءات الأمم المتحدة عن منظمة العمل الدولية التابعة لها تبين النسبة الضئيلة جداً للنساء اللاتي يشغلن مناصب الإدارة العليا للشركات في أوربا ودول أخرى:

www.eajaz.org

ففي مجالس إدارة الشركات في أوربا نسبتهن فقط ٥%، وفي المناصب العليا لإدارة الشركات: أستراليا ٣ر١%؛ فرنسا ٢%؛ إنكلترا ٦ر٣% ١٠.٠٧.٢٠٠١ BBC Teletext.

نسب تفوق الرجال والنساء لبعض المهن في بريطانية	
نسبة تفوق الرجال	نسبة تفوق النساء
١٠٠٪ من البناءين	٩٩٪ من كاتبات الآلة الطابعة
١٠٠٪ من الكاسيين بالسجاد	٩٨٪ من عاملي الاستقبال والاستعلامات
١٠٠٪ من عاملي تمريض الأسنان	٨٨٪ من عاملي المكتبات
٩٩٪ من المهندسين الميكانيكيين	٨٧٪ من عاملي الخدمات الاجتماعية
٩٨٪ من المسّاحين الكميين	٦٩٪ من العلماء النفسانيين
٩٧٪ من مهندسي التلفاز	--

٦ – دماغ الأنثى مبنيٌ لأداء أعمال متعددة في آن واحد:

من الباحثين في المقام الأول في عمليات شطري الدماغ الأيمن والأيسر دكتور جير لَفي **Jerre Levy** من جامعة شيكاغو، الذي أظهرت دراساته الخاصة بالجسم الجاسئ **Corpus Callosum** الذي تحدثت عنه في الفقرة–٣ بأن دماغ الأنثى أكبر وأسمك وأكثر وزناً منه في الذكر، حيث يوضّح تفوق كل منهما على الآخر في إنجاز نشاطات معينة: فتتفوق النساء على الرجال في الحَدس وسرعة البديهية والقابلية على إنجاز نشاطات متعددة في آن واحد؛ بينما يتفوق الرجال في الميكانيكا، المحاسبة، الهندسة والرياضيات ونحوها. إن الجسم الجاسئ له خاصيته عند المرأة إذ يجعل من دماغ المرأة "يتكلم مع ذاته **Talk to itself**" أكثر تكراراً من دماغ الرجل، مما يساعدها على التوحيد بين والتفسير لكافة التفاصيل والفوارق الدقيقة لوضعية ما.

ومن الأمثلة التي يوردها دكتور ليفي على تفوق المرأة على الرجل في تأدية عدة نشاطات في آن واحد، يتعلق بنشاطات منزلية تمارسها في الغالب امرأة نموذجية **Jensen ٩٤**:

تصور حالة عندما تعود امرأة من العمل إلى بيتها، وزوجها منشغل بمشاهدة برنامج تلفازي. تذهب الزوجة إلى المطبخ، وبينما ترتب الأواني تتكلم على الهاتف مع صديقتها. وتعود ابنتها من المدرسة فتحدِث أمها عن المدرسة ومشاكلها: وأثناء انشغال الزوجة بكل ذلك، تسأل زوجها: "ماذا تفضل تناوله للعشاء؟"، والزوج مركز على مشاهدة برنامج تلفازي، يجيبها: "أنني منشغل، هل يمكنك الانتظار إلى نهاية البرنامج؟" فيظهر من هذه الحالة قابلية النساء على أداء أعمال متعددة في آن واحد، وتفضيل الرجال التركيز على عمل واحد في آن واحد.

www.eajaz.org

٧ – تقلّب نشاط ومزاج المرأة خلال دورة الطَمث:

أثبتت عدة بحوث تخص التأثير الهرموني على دماغ المرأة خلال ٢٨ يوم لدورة طمثها، منها بحوث فريق الباحثة كيميورا وإليزابث هامبسون: فتبين أن المرأة تختلف عن الرجل تماماً في تحديد نشاطها بتأثيرات هرمونية سببها دورة الطمث، حيث أثبتت تلك البحوث بأن المرأة أكثر نشاطاً وحيوية خلال الأربعة عشر يوماً الأولى من دورة الطمث، أو النصف الأول من الدورة، ذلك لتواجد هرمون ستروجين **Estrogen** بمفرده، فهو هرمون مثير للدورة التزوية ويرفع من نشاط خلايا الدماغ فيزيد من يقظته ويقظة الحواس معاً: فبتدفق هذا الهرمون إلى دماغ المرأة في فترة الطمث الأولى، يشعرها بالابتهاج، الإثارة الجنسية، الحماس، الغرور؛ على عكس النصف الثاني لفترة الطمث. فلما كان سلوك المرأة في النصف الأول من دورة الطمث يتصف بالنشاط والإيجابية، ففي النصف الثاني من دورة الطمث يتصف بالركود والسلبية. ويُعزى هذا الانعكاس في سلوك المرأة إلى إفراز هرمون آخر هو الجسْفرون **Progesterone** علاوة على هرمون ستروجين: الوظيفة الأساسية للهرمون المُضاف تهيئة الرحم لقبول البويضة المُلقحة؛ ولكن يعمل الهرمون المضاف أيضاً على خفض تدفق الدم إلى الدماغ واستهلاك الأكسجين والجلوكوز، مما يسبب سلوكاً راكداً غير متحفزاً عند المرأة. ويدعو الهرمون المُضاف المرأة إلى الإحساس بوضعية سكون وهدوء واستسلام، بعد وضعية الشعور بالحماس والغرور والسعادة في النصف الأول من الطمث. وفي الأيام الخمسة الأخيرة قبل بدء الحمل، ينخفض مستويي الهرمونين فيقل تأثيرهما على سلوك المرأة. والمصطلح "الأعراض المتزامنة قبل الطمث **(PMS) Pre-menstrual Syndrome**" صار اليوم متعارفاً عليه في دوائر الطب والصيدلة: والبحوث جارية للتوصل إلى علاج يخفف من الأعراض السلبية التي تعاني المرأة منها في النصف الثاني من دورة الطمث. ونتيجة لهذه الحقيقة التي أقرها وقضاها سبحانه للنصف الآخر من خلقه، تجد مزاجية المرأة غالباً متأرجحة متقلبة من حالة إلى أخرى: من نشاط إلى ركود، من حماس إلى انسحاب، من تعاون إلى عدوانية، من ابتهاج إلى كآبة، من غرور إلى استسلام، ونحو ذلك. إذن يعمل المزاج الإيجابي على رفع مستويات التعلم والأداء؛ بينما يعمل المزاج السلبي على خفض تلك المستويات.

تباين الذكر والأنثى بحسب القرآن الكريم:
وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى: وردت هذه الآية المقتضبة البليغة من بين آيات أخرى في قوله تعالى:
إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.
فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ: رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى – وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ –
وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى.
وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. آل عمران ٣٥-٣٦
مجمل رأي المفسر القرطبي مثلاً في هاتين الآيتين الكريمتين قوله: لما أسنّت حنة امرأة عمران واشتاقت للولد، دعت ربها أن تجعل عتيقاً خالصاً ما تحمل في بطنها لخدمة بيت الله المقدس، ولكنها ولدت أنثى. فقالت معتذرة: رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى. وكانت ترجو أن يكون غلاماً إذ لم يكن يُحرر إلا الغلمان. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ: جملة اعتراض، الله عالم بما في الأرحام. وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى: ويقول القرطبي لهذا المقطع الذي هو موضع الاهتمام في هذا المبحث: "الأنثى لا تصلح للخدمة لضعفها وعورتها وما يعتريها من الحيض ونحوه."ويفسر سيد قطب هذه الآية بقوله: "لقد كانت (زوجة عمران) تنتظر ولداً ذكراً؛ فالنذر للمعابد لم يكن معروفاً إلا للصبيان ليخدموا الهيكل وينقطعوا للعبادة والتبتل .. ولا تنهض الأنثى بما ينهض به الذكر في هذا المجال."

وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى: ففي هذا المقطع يخبرنا سبحانه وتعالى بحقيقة خَلقية بكون الذكر بكليته عقلاً وبدناً متفاوت أو مختلف عن الأنثى بكليتها عقلاً وبدناً. إن معنى هذه الآية الكريمة واضح جلي: *الذكر والأنثى غير متساويين* .. الذكر لا يتماثل مع الأُنثى، والأُنثى لا تتماثل مع الذكر .. هذه الحقيقة الإلهية تنسجم مع قاعدة إلهية أخرى تتعلق بالخلق: وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. الذاريات ٤٩. هذه الحقيقة أُقرها وثُبتها القرآن العظيم منذ أربعة عشر قرن؛ على حين ظل المنادون بالمساواة بين المرأة والرجل ماضين في دعواهم بغض النظر عن الفوارق البيولوجية في الدماغ والبدن بينهما. والإسلام في الحقيقة لم يفرق بين الجنسين من حيث ما عليهما من واجبات وما لهما من حقوق، حسب تقرير القرآن الكريم والسنة الشريفة؛ إنما الإسلام يعلن في كتابه العظيم بأن الجنسين متفاوتين في المقدرات: فلكي تجري الحياة في سبيل سليم مستقيم، فكل من الجنسين يكمل أو يتكامل مع الجنس الآخر. كل من الجنسين له دوره المخصص له في أداء المتطلبات المتكاملة للحياة. وقلت لك سلفاً، التفاوت بين مقدرات الجنسين ضرورة لقيام كل منهما بدور يختلف عن الآخر حسب متطلبات الحياة:
إذن الفرق كبير بين القول: المرأة تتساوى مع الرجل، والقول: المرأة تتكامل مع الرجل.

التشريح والأجنة

من الاهتمامات القرآنية بالمرأة:

تقرأ في القرآن الكريم آيات تعطيك فكرة واضحة بأن للمرأة مكانة مرموقة في الإسلام. فحسب ما يسمح به نطاق هذا المبحث، أستعرض لك سريعاً الآيات الكريمة حول اهتمامات القرآن الكريم بالمرأة، حيث يظهر أن مكانتها لا تقل عن مكانة الرجل:

- كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ. المدثر ٣٨: ومشابهة لهذه الآية: كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ. الطور ٢١، فكلّ نفس (أو كل امرئ) مأخوذة بعملها، سواء كانت النفس ذكراً أو أنثى.
- فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ. آل عمران ١٩٥: فالله تعالى لا يضيع عمل عامل من الناس؛ بل يوفي كل عامل بقسط عمله إن كان ذكراً أو أنثى. بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، أي جميعكم في ثوابي سواء. ومتشابهة لهذه الآية الكريمة: وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا. النساء ١٢٤. مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً النحل ٩٧؛ .. وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ. غافر ٤٠.
- وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ. البقرة ٢٢٨: "وللمطلقات من الحقوق مثل الذي عليهن من الواجبات .. وأزواجهن مكلفون بأن تكون نيتهم في الرجعة طيبة لا ضرر فيها عليهن .. وقد جعل هذا الحق (الرجعة) في يد الرجل لأنه هو الذي طلق .. وهي درجة مقيدة في هذا الموقع، وليسن مطلقة الدلالة كما يفهمها الكثيرون .." سيد قطب.
- وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ. وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ. يَتَوَارَى مِنْ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ. النحل ٥٧-٥٩: هذه صورة منكرة يرفضها الإسلام، سواء ما كانت عليه في الجاهلية أو حتى ما عليه اليوم: إذا أخبر أحدهم بولادة بنت، ظل وجهه متغيراً تغير مغتم ممتلئ من الغم، أيختفي من القوم تستراً عن العار، أم الإبقاء على المولود في ذل وهوان أم يئده، بئس ما قالوا وبئس ما حكموا بأن البنات لله تعالى ولهم البنين، حيث كان عرب الجاهلية يزعمون أن لله بنات هن الملائكة، فلله البنات ولهم البني. إن قاعدة الحياة التي قضاها الله تعالى أن تنشأ الحياة من زوجين ذكر وأنثى: والأنثى أصيلة في الإسلام أصالة الذكر؛ بل أشد أصالة لأنها المستقر. فمن يغتم بولادة أُنثى ينحرف عن العقيدة الإسلامية، إذ الأنثى شطر النفس الإنسانية فلا تفاضل بين الشطرين الكريمين على الله تعالى. وهكذا تظهر قيمة الإسلام في تصحيح المواقف المنحرفة تجاه المرأة.

- وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا. الأحقاف ١٥: ووصينا الإنسان حسناً بوالديه على حد سواء دون أي تمييز بين الأب والأم. لما خص تعالى الأم بدرجة ذكر الحمل وبدرجة ذكر الرضاع. وقول الرسولص في هذا المقام كما يخبرنا به النووي: "جاء رجل إلى رسول اللهص فقال: يا رسول الله من أحقُ الناس بحسن صَحابتي؟ قال: أُمك، قال: ثم من؟ قال: أُمك، قال: ثم من؟ قال:أبوك." النووي ١١٧
- وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. الروم ٢١: وتثبّت هذه الآية الكريمة وتؤكد أن شطري النفس الإنسانية الذكر والأنثى متوافقان يكمل أحدهما الآخر، ولا يمكن أن يعيش أحدهما بدون الآخر: بهذا التعبير الرقيق يصور القرآن الكريم أن يد الله اللطيف الودود خلقت من أنفسهم أزواجاً وأودعت الرفق والمحبة بينهما لكي تكون الصلة بين الجنسين سكناً للنفس وراحة للجسم واستقراراً واستمراراً للحياة.

الذكر والأنثى في التوراة والإنجيل:

في التوراة:

ورد في كتاب تكوين عن خلق المرأة: "فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام. فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً. وبنى الرّب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم." تكوين ٣: ٢١، ٢٢. هذا كلام أسطوري يصوّر كاتبه الرب وكأنه جرّاح، خدّر آدم بتنويمه، فقلع ضلعاً بعد فتح صدره واضعاً مكانه لحماً! فكون الرب من الضلع امرأة لآدم سمّاها كتبة هذا النص حواء. ولكن ما هو أصل التسمية حواء، التي لا وجود لذكرها في القرآن الكريم؟ بعد بحث مُضني وجدت الآتي: نن–خَرساج إلهة ترمز إلى الأمومة لدى البابليين وهي سيدة الحياة وعنوان الإنجاب الأول للأم الكبرى. وهي أيضاً الأم البديل التي ولدت حواء أي حياة **Ava/Eve** بعد إخصابها من أنكي إله المياه العذبة لدى البابليين أيضاً. وسيدة الحياة هذه عند السومريين نن–تي (نن = سيدة، تي = حياة). وتسمية أخرى عند السومريين تيي بياء ممتدة تعني ضلع. وربما اختلط الأمر على كهان اليهود الكتبة، فخلطوا بين تي وتيي بياء ممتدة بحيث ارتبطت حواء خطأً بضلع آدم. ومن جراء ذلك اختلط الأمر أيضاً على بعض مفسري القرآن الكريم للأسف، مثل بن كثير الذي فسّر الآية: وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا، بما قصّه كتبة اليهود بجعل زوج آدم أصلاً من ضلع من أضلاعه (بن كثير: قصص الأنبياء). وبالمقابل في القرآن الكريم خُلقت الأنثى من الذكر دون بيان الطريقة التي تم بها هذا الخلق، كما في قوله تعالى:

يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً. النساء ١

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا. الأعراف ١٨٩

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا .. الزمر ٦

في الإنجيل:

رسالة بطرس الأولى: "كذلكم أيها الرجال كونوا ساكنين بحسب الفِطنة مع الإناء النسائي كالأضعف معطين إياهن كرامة كالوارثات أيضاً معكم نعمة الحياة لكي لا تُعاق صلواتكم." ٣:لاحظ التمييز بين الرجل والمرأة في قول بطرس باعتبار المرأة الجنس الأضعف؛ على حين لم يرد في القرآن الكريم مثل هذا التمييز؛ إنما في آية واحدة يُوصف الإنسان بأنه ضعيفا سواء كان رجلاً أم امرأة:يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا. النساء ٢٨: وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا: أي أن هواه يستميله وشهوته وغضبه يستخفانه, وهذا أشد الضعف.

INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH
رابطة العالم الإسلامي MUSLIM WORLD LEAGUE
www.eajaz.org

خلاصة:

إذا كان مطلب بعض السياسيين والاجتماعيين بمعاملة النساء والرجال بالتساوي باعتبارهما متساويين في الخلق، فالحقائق العلمية أثبتت العكس: وإذا تجاهلنا الثوابت العلمية في هذا الخصوص، فيصبح المطلب إذن بمثابة كذبة بيولوجية، أي صرف النظر عن ثوابت تتعلق بخلق كل من الجنسين. فإلى متى التظاهر بتساوي النساء مع الرجال رغم اختلافهما بيولوجياً؟ فالوقت حان لمراجعة الموقف التقليدي القديم حول مساواة المرأة بالرجل الذي عمّ أرجاء من العالم. وحان الوقت لتصفية الخرافة الاجتماعية القائلة: الرجال والنساء متعاوضون، أي يمكن قيام أحدهم بدور الآخر. ولكن اعلم أن الرجل يختلف عن المرأة، مهما تحمست الدعوة إلى المساواة بينهما. في حين هما متساويان فقط باعتبارهما من نفس الجنس، الجنس البشري. فكل من يدعو إلى تساوي المرأة والرجل في المدركات، المهارات، الاستعدادات، السلوك، فهو يدعو دون أن يدرك إلى بناء مجتمع على أساس كذب بيولوجي (أحيائي) وعلمي. وبتعبير بسيط: الجنسان متباينان لأن دماغ كل منهما متباينان: فكما للمرآة جسد أنثوي فلها دماغ أنثوي، وكما للرجل جسد ذكري فله دماغ ذكري. فيُصاغ دماغ الجنين الذكر إلى بنية ذكريه لتعرضه في الرحم إلى جرعات كبيرة من هرمونات منشطة الذكورة، التستوسترون، حيث تقدر عموماً كمية تلك الهرمونات عند الذكر في سن البلوغ عشرة أضعاف الكمية عند الأُنثى، أو ١٠٠٠% مما في المرأة. فمن أُنثى تتصرف تصرف الرجال، كان دماغها تعرض في الرحم إلى كميات غير اعتيادية من هرمونات الذكورة. والدماغ هو الجهاز الإداري والعاطفي المركزي لحياة الإنسان، وتختلف بنيته في الرجال عن النساء من الفطرة، فتنتج اختلافات بين الجنسين في العمليات العقلية والقدرات الفكرية وفي المهارات والاستعدادات؛ ويتعامل الدماغ مع المعارف المستلمة بطريقة مختلفة بين الجنسين، مما يؤدي إلى اختلاف في المدركات، ترتيب الأسبقيات، السلوك، ونحو ذلك. فدعوى المساواة بين الجنسين تتعارض مع الفطرة ومع العلم.

وتأمل في حالة متعارف عليها تفرّق الرجال عن النساء: فأبرز خصال سلوكية تميز الرجال عن النساء العدوانية والمغامرة، المخاطرة، المنافسة، الجزم والإصرار والزعم، الولوع إلى السلطوية، هي خصال جُبلية غير مكتسبة: وإلى هذه الخصال تُعلّل هيمنة الرجال بدرجة كبيرة على مدار التاريخ. فالرجال لم يكتسبوا سلوكية المغامرة مثلاً عن طريق التعليم أو الممارسة أو نتيجة مؤثرات اجتماعية أو بيئية؛ وليس في مدرسة درس يعلم المغامرة وتكتيكها؛ بل حتى العلماء المختصين في مجال الفوارق بين الجنسين، يقرون بأن هذه الخصال متميزة عند الرجال لأن نسبة هرمون التستوسترون عندهم عشرة أضعاف ما عند النساء Moir ١٥.

www.eajaz.org

فحتى هذه المرحلة من البحث العلمي في فوارق بنية الدماغ بين الذكر والأنثى، ذلك يدعو إلى التفكير والتأمل في مسألة إعادة النظر في الأنظمة والسياسات التربوية المعتمدة في المدارس في الوقت الحاضر وفي أوصاف الأعمال التي تليق لكل من الجنسين وبطريقة تقر وتعتمد تلك الفوارق البيولوجية. أو بعبارة صريحة، هل نترك أنظمة الدراسة المختلطة بين الجنسين وتوفير فرص عمل متساوية للجنسين على حالها الحاضر من دون تغيير رغم ظهور ثوابت علمية عن الفوارق بينهما؟ رأي بعض علماء الأعصاب أن يوماً سيأتي لمراجعة الأنظمة والسياسات التربوية الحالية، حتى لو اقتضى الأمر مثلاً التخلي عن المدارس المختلطة وإنشاء مدارس خاصة بالذكور وأخرى خاصة بالإناث على ضوء الفوارق الفطرية في دماغ كل منهما، بجانب تحديد أعمال تليق بالذكر وأعمال تليق بالأنثى على ضوء الفوارق العقلية والبدنية بينهما. وإليك دراسة حديثة في المملكة المتحدة مما يعزز خيار التعليم في مدارس لجنس منفرد وأفضليته على مدارس تعليم مختلط: أُجريت الدراسة على ١٠٠ مدرسة نموذجية ذات ١٢ درجة، ١٠ منها فقط ذات تعليم مختلط و ٩٠ ذات تعليم منفرد (منها للذكور وأخرى للإناث). وبعد تفحص نتائج الاختبار السنوي، ظهر أن النتائج لمدارس جنس منفرد للبنين ٢٠% أفضل من نتائج بنين في مدارس مختلطة، وذات الحال بالنسبة لإناث في مدارس للإناث مقارنة بنظيراتهن في مدارس مختلطة. وفي سنة ١٩٩٦ أجريت مراجعة لنتائج اختبار سنوية لمدارس ثانوية للبنات، فأظهرت تفوقهن على نظيراتهن لمدارس ثانوية مختلطة!

لعلك أدركت أن المرأة بيولوجياً تتميز على الرجل في نواحي تعدها لأداء الدور اللائق بها: النزعة نحو مجالات ذات طابع اجتماعي وشخصي، أقل تقيداً بالقواعد من الرجل، ونحو ذلك: كل ذلك ضروري لأداء متطلبات البيت المتشابكة من ضمنها التربية والرعاية المباشرة للأطفال بخاصة تعلقهم الفطري الحاسم بالأم أكثر من الأب، بالإضافة إلى ممارسة نشاطات ذات طابع اجتماعي أو شخصي، أو ذات طابع إنساني وخيري خارج قيود القواعد، أو القيام بأعمال مكتبية رتيبة.

إن الإنسان بجنسيه يجني فوائد عُظمى من حياته إذا أدرك العالم كما هو مخلوق؛ وليس بمحاولة منه إنشاء عالم حسب مشيئته ورغباته من أسس ومفاهيم يجهلها. فالرجال والنساء بإمكانهم العيش معاً بسعادة أكثر، بتفهم وحب بعضهم البعض بدرجة أعلا، بتنظيم العالم إلى مصير أفضل، إذا أقر كل من الجنسين فوارقه عن الجنس الآخر. وبذلك يتمكن الجنس البشري من بناء حياته على دعامتين ثنائيتين متميزتين من حيث الهوية الجنسية. لقد آن الأوان لإيقاف الجدلية العقيمة غير المجدية بأن الرجال والنساء خُلقوا متماثلان؛ فهم لم يُخلقوا هكذا، ولا يمكن لأي مثالي أو مناد بإصلاح أن يغير هذه الحقيقة الفطرية الناصعة التي قضاها سبحانه لعباده الذكور والإناث. وعلينا أن نقر ونتقبل بأن الرجال أقوياء وضعفاء في مجالات، حيثما النساء قويات وضعيفات في مجالات.

مايكل لَفِن **Michael Levin** بروفيسور فلسفة في جامعة المدينة بنيويورك كتب يقول **Moir** :١٩٠

"أدركت أن معظم النساء يجدن في الأمومة رضاء تاماً، ومعظمهن كأمهات لا يتمتعن بالوا لدية أكثر من الآباء حسب؛ إنما بالأحرى هن أفضل في أدائها، أي هن أكثر ملائمة للوالدية من الآباء. فوقوف المرأة الأم على إطعام الجيل الخلَف وكساءهم وتربيتهم وتعليمهم هي مهمة رفيعة نبيلة ترقى على مهمة كسب المال من خلال العمل."

لشهادة امْرَأَتَين حجة علمية بيولوجية:

لاحظت من الحث أعلاه بأن دماغ الذكر والأُنثى مختلفان بيولوجيا بكل وضوح، ليس من حيث أداء العمليات العقلية حسب؛ إنما أيضاً من حيث بنيتهما! فتبين أن دماغي الجنسين مختلفان من حيث درجة التركيز والانتشار أو التشتت في عمليات التفكير وأداء الأعمال: فمن الخواص البيولوجية لدماغ الرجل القدرة على التركيز على أداء عمل واحد في آن واحد: فعندما يركز الرجل على أداء عمل معين، لا تصرف انتباهه عن ذلك العمل معلومات طارئة أو زائدة عليه. كما ظهر لهم أن دماغ الرجل أكثر تخصصاً من دماغ المرأة: فيختص الجانب الأيسر من دماغ الرجل كلياً في السيطرة على قدرات الفعل؛ بينما يختص الجانب الأيمن في السيطرة على قدرات الأبصار. أما المرأة، فكلا الجانبين من دماغها ينشغلان في التعامل مع كافة المسائل. وبتعبير آخر، تتصف عمليات دماغ الرجل بالتخصص والتركيز؛

مقابل عمليات دماغ المرأة تتصف بالتنوع والانتشار أو التشتت. -٤٣ Moir & jessel⇓ ٤٥,١٢٠. والتركيز في التفكير يجعل من استرجاع الأفكار والمعارف المكتسبة فيما بعد أسهل مما لو كان التفكير منتشراً إلى عدة أفكار أو عدة أشياء. أي الانتشار أو التشتت في التفكير يؤدي بصاحبه إلى نسيان بعض أفكاره ومعارفه المكتسبة مسبقاً.

وذكرت لك فرق بنيوي أساس آخر اكتشف بعد اختبارات على ١٤ امرأة أجراها علماء أعصاب، يتعلق بالجسم الجاسئ **Corpus Callosum**، وهو كتلة ألياف عصبية موصلة تربط شطري الدماغ نصف الكرويين: فتبين اختلاف واضح في هذا الجسم الموصل بين دماغي الجنسين، فهو أسمك وأكثر وزناً وانتفاخاً وبصلي الشكل في الإناث منه في الذكور، حيث يعمل على نقل وتبادل معلومات مروريا بين نصفي الدماغ بكميات أكبر في الإناث مما في الذكور. وأظهرت بحوث دكتور جير لَفي من جامعة شيكاغو كما أسلفت، أن الجسم الجاسئ بكونه أكبر حجماً ووزناً عند المرأة يجعلها تتفوق على الرجال في إنجاز نشاطات متعددة في آن واحد؛ بخلاف الرجل الذي يركز على أداء عمل واحد في آن واحد. كما إن الجسم الجاسئ أشبه بجسر يحمل معلومات مارة بين شطري الدماغ الأيسر والأيمن، فيجعل هذا الجسر دماغ المرأة "يتكلم مع ذاته **Talk to itself**"، حيث يُحدث التحاور التلقائي لدماغ المرأة خلفية مشوشة لا سيطرة لها عليها، قد تعيق المرآة من التركيز على فكرة واحدة أو عمل واحد في آن واحد، مما يخفض من كفاءة أدائها. ويؤدي الجسم الجاسئ بتفكير المرأة علاوة على الانتشار أو التشتت إلى الإدراك والتواصل مع الغير بصيغ ملفوظة ممزوجة بانفعالية وعاطفية ووجدانية. فهل خاصية الانتشار أو التشتت في تفكير المرأة وضعف قدرتها على التركيز على شيء واحد في آن واحد يجعلها تنسى بعض المعارف المشتتة التي اكتسبتها مسبقاً، وعليه يتطلب شهادة امرأتين على العقد، كما في قوله سبحانه؟

وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنْ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى. البقرة ٢٨٢

أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى: يقرر القرآن الكريم شاهدين على العقد: رجلين أو رجل وامرأتين: لماذا امرأتان؟ في كراس بالإنكليزية بعنوان **Why Two Women Witnesses?** (لماذا شهادة امرأتين؟ لشامشاد خان ١٩٩٢) يقول: "السبب لشرط شهادة امرأتين لأنها ليست بوضع لتحكم موضوعياً بدون تأثير من عاطفتها .. والنساء أقل اطلاعاً من الرجال بإجراءات الأعمال، لأن

أعمالهن عادة في البيت. لذا فهن معرضات لارتكاب أخطاء في هذا المجال .. كما أن المرأة قد لا تستطيع التعبير بوضوح (عن الشهادة)، فرفيقتها في الشهادة قد تساعدها للتغلب على هذه الصعوبة." ٢ **Shamshad**. هذا التعليل لا يمكن قبوله، حيث أن المرأة أخذت في الوقت الحاضر تمارس مختلف فروع الأعمال كالرجل. أضف إلى ذلك، اتضح أن المرأة من دراسات بيولوجية لدماغها أنها أكثر تضلعاً من الرجل في اللغة وتتفوق عليه في اللباقة.

ولكن دعني أطرح لك رأي المفسر القرطبي في الآية الكريمة: أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا: فالمرأة تُضل، أي تنسى كما يقول القرطبي: "معنى تضل تنسى، والضلال عن الشهادة إنما هو نسيان جزء منها وذكر جزء." وابن كثير يفسر: "وقوله تعالى: أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا يعني المرأتين إذا نسيت الشهادة فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى. فتضل تعني تنسى. فمن اتصف تفكيره بالانتشار أو التشتت على عدة أفكار وأشياء كدماغ المرأة بحسب البحوث البيولوجية الحديثة، فتكون عرضة إلى نسيان بعض أو معظم المعارف التي استلمتها في بادئ الأمر؛ وعكس ذلك، من اتصف تفكيره بالتركيز على فكرة أو شيء واحد في آن واحد كما عند الرجل، يكون له أمل أكبر لاسترجاع ما ركز عليه أولاً. أضف إلى ذلك الشخصية التي فُطرت عليها المرأة، فهي بطبيعتها كما أسلفت في عدة مواضع تفوق الرجل في الانفعالية والعاطفية والوجدانية، خصائص ضرورية في مقام تربية الطفل؛ على حين يتطلب الشهادة على عقد تجرداً ملموساً من الانفعالية والعاطفية.

معجزة: لتعدد الزوجات حجة علمية بيولوجية:

ومعجزة علمية أخرى تنسحب على معجزة "وليس الذكر كالأنثى" تتصل بتعدد الزوجات لغاية أربع كما أجازها القرآن الكريم: ففي سورة النساء أعطى الله العليم الخبير المسلمين رخصة النكاح بأكثر من امرأة واحدة لغاية أربع، مع التحفظ عند العجز عن العدل، فامرأة واحدة:

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ.

فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً، أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا. النساء ٣

قبل الدخول إلى عرض مكتشفات العلم الحديث الذي يعزز الزواج بأكثر من امرأة، ينبغي التعرف بإيجاز على تفسير هذه الآية الكريمة: فلما استعرضت تفاسير القرطبي وابن كثير وسيد قطب، وجدتها متقاربة في الخطوط العريضةً؛ عدا إضافات حديثة لسيد قطب: وسأجتزئ تفسير سيد قطب فقط فيما يخص المقطع المرتبط بموضوع البحث:

فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ. فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً.التشريح والأجنة

نُقلت ثلاث روايات لأشخاص كان تحت كل منهم قبل إسلامهم عدة نسوة، فجاءوا إلى الرسول ص يستفتونه في ذلك: غيلان بن سلمة الثقفي، أسلم وتحته عشر نسوة، فقال له النبي ص: اختر منهن أربعاً. عميرة الأسدي قال: أسلمت وعندي ثماني نسوة، فذكرت ذلك للنبي ص، فقال: اختر منهن أربعاً. نوفل بن معاوية الديلمي، قال: أسلمت وعندي خمس نسوة، فقال لي رسول الله ص: اختر أربعاً أيتهن شئت وفارق الأخرى.

جاء الإسلام إذن وتحت رجال عشر نسوة أو أكثر أو أقل، بدون حد ولا قيد. فجاء الدين الحنيف لا ليطلق؛ إنما ليحدد: فلا يتجاوز مسلم أربع زوجات بشرط إمكان العدل؛ وإلا فواحدة. والإسلام منهج لحياة الإنسان، "يتوافق مع فطرته وتكوينه". وهو منهج يرعى خُلق الإنسان ونظافة المجتمع. هناك حالات تبدو فيها زيادة عدد النساء الصالحات للزواج على عدد الرجال الصالحين للزواج: فالزواج بامرأة واحدة يُبقي أخرى أو أكثر بدون زواج، وهذا مضاد للفطرة؛ الزواج بواحدة مع مخادنة أخرى أو أكثر في الحرام، وهذا مضاد لكرامة المرأة ولاتجاه الإسلام النظيف؛ الزواج بأكثر من واحدة في الحلال ينسجم مع الفطرة ويرعى مجتمع نظيف وهو خيار الإسلام – هذا مقتضب التفسير لسيد قطب[1].

فما هو موقف العلم الحديث؟

الغريزة الجنسية التي تجذب أحد الجنسين إلى الآخر تتأثر بعوامل تتعلق بمظهرهما وسلوكهما، إضافة إلى مؤثرات بيئية. وفي العقدين الأخيرين أخذ البحث العلمي في حقل الجنس يتقدم، إلى مرحلة أوصل هذا الحقل إلى علم اكتسب تسمية علم الجنس **SEX SCIENCE**. فمن بين المكتشفات العلمية الحديثة في هذا المضمار، فعلاوة على المؤثرات المذكورة للجذب الجنسي بين رجل وامرأة، هناك عامل بيولوجي ذو تأثير مباشر على الغريزة الجنسية، يعمل بفاعلية على إثارة غريزة الجنس نحو الاتصال الجنسي: هو نسبة هرمون الذكورة التستوسترون **TESTOSTORONE**. فكلما ارتفع مستوى هذا الهرمون كلما اشتد التهيج الجنسي: فأظهر علم الجنس حديثاً أن نسبة هرمون التستوسترون لدى الرجال ١٠٠٠% منه لدى النساء، أي مقدار تستوسترون الرجال عشرة أضعاف مقدار تستوسترون النساء! فيستخلص من هذه الحقيقة البيولوجية المدهشة بأن التهيج الجنسي أو مطلب الاتصال الجنسي عند الرجال أشد إلحاحاً منه عند النساء. على حين مقدار التستوسترون لدى المرأة يبلغ ذروته وبالتالي يشتد تهيجها الجنسي في وقت محدد أثناء دورة الطمث، مباشرة بعد إفراز المبيض البويضة. ولكن بحسب

الواقع البيولوجي، عامة الرجال لديهم تستوسترون أعلى بكثير من عامة النساء، ولو استثناءً يزداد مستوى هذا الهرمون لدى بعض النساء فيشتد مطلبهن للاتصال الجنسي.
وتمكن علم الجنس من ضبط ارتباط مقدار التستوسترون بمدى العدوان أو الانقضاض الجنسي: فأظهرت البحوث أن الاغتصاب الجنسي من جانب الرجال يبلغ ذروته بين سن ١٧ – ٢٥ سنة؛ ثم يأخذ مستواه بالتناقص تدريجياً لانخفاض مستوى التستوسترون مع العمر. وتبين أيضاً من إحصاءات في أوربا، زيادة الاغتصاب الجنسي في موسم الخريف حينما يبلغ هرمون الذكورة هذا ذروته. وفي حين اعتبار الاغتصاب الجنسي جريمة يعاقب عليها القانون في غالبية الدول، فهو من الوجهة العلمية البيولوجية ذو ارتباط بمستويات التستوسترون: وكلما ازداد مستوى هذا الهرمون لدى المُغتصب كلما صاحب الاغتصاب العنف الجسدي. لذلك أصبح من المعتاد في بعض الدول معالجة رجال من هذا الصنف بعقاقير تعمل على إيقاف إفراز التستوسترون وهرمونات ذكورة أخرى **ANDROGENS**. واتجاه مقلق هذه الأيام لمجتمع ولحكومات الدول الأوربية وأمريكا، هو شيوع تناول هرمون الذكورة الاصطناعي ستيرويد ابتنائي **ANABOLIC STERIODS** لدى المراهقين، والذي دفعهم إلى مزيد من العنف الجنسي: ففي أمريكا وحدها ما يقارب نصف مليون مراهق يتناول هذا العقار. وحتى لا ننسى، فظاهرة الإقدام على الاغتصاب الجنسي شائعة بين الرجال؛ ونادراً ما تسمع امرأة أقدمت على اغتصاب رجل (في السويد مثلاً)، فيُرد ذلك إلى إلحاح بيولوجي بتفوق التستوسترون.

وتفاوت مستوى هرمون التّستوسترون لدى الجنسين ليس بمفرده المسؤول عن تفاوت درجة التهيج الجنسي؛ إنما تفاوت كتلة وشكل خلايا وطاء الدماغ **HYPOTHALAMUS**، الذي يسيطر أساساً على معظم الانفعالات بضمنها الحافز الجنسي، له الأثر في ذلك أيضاً. فأظهرت البحوث الحديثة بوجود في وطاء الدماغ الفاسوبرَسين **VASOPRESSIN** هو بمثابة مُرسل كيميائي عصبي، هو المفتاح للسلوك الجنسي، بخاصة درجة الإلحاح في مطلب الاتصال الجنسي: واعلم أن هذا المُرسل الكيميائي متوفر بمستوى أعلى في الذكور كما في مستوى التستوسترون! أضف إلى ذلك، هناك بحوث مستجدة قليلة يُستدل منها على أن مواقع إيقاظ الشهوة الجنسية من دماغ وبدن كلا الجنسين مختلفة. فإذن هذه المؤثرات البيولوجية مجتمعة تجعل من الرجل بحكم الفطرة أشد إثارة وتهيجاً جنسياً من المرأة بدون شك.

أضف إلى ذلك، التركيب السكاني من حيث نسبة الإناث إلى الذكور يؤدي في النهاية إلى زيادة نسبية لعدد الإناث على عدد الذكور: فمن حيث مجموع الولادات، يُلاحظ أن عدد ولادات الإناث تقريباً

مساوٍ لعدد ولادات الذكور: لكل ١٠٠ أنثى ١٠٥ ذكر؛ ولكن الشائع هو معدل الوفيات بين الذكور أعلى بعد الولادة وفي كافة الأعمار لأسباب بيولوجية. فبتقدم العمر، تزداد نسبة النساء إلى الرجال، وفي مرحلة متقدمة من العمر يصبح عدد النساء أكثر من عدد الرجال: فمثلاً أظهرت دراسة سنة ١٩٨٥، في أوربا وأمريكا أشخاص بعمر ٧٠ سنة، لكل ١٠٠ امرأة ٦١ رجل فقط، أي عدد النساء ضعف عدد الرجال تقريباً! "فالاختلال في نسبة الإناث إلى الذكور في سكان ما له الأثر على تعويق الزواج: فقلة الذكور في فئة عمر الزواج يضغط على نسب زواج الإناث في نفس فئة العمر أو أصغر، مما يؤدي بالإناث إلى بقائهن من دون الزواج وإلى التناقص المثير للإخصاب، حتى يصلن إلى عمر لا يؤهلهن للزواج." EBCD '٩٩.

وتخبرنا آن موا عن دراسة جدية في هذا الصدد، فتقول: "في دراسة طويلة الأمد أُجريت في أمريكا استغرقت خمسين سنة من ١٩٣٩ لغاية ١٩٨٩ كان هدفها التعرف على الخاصية التي يفضلها أحد الجنسين في الجنس الآخر: ففي كافة الحالات المدروسة ظهر للباحثين أن الرجال يَعدون فتنة بُنية المرأة وجمال مظهرها أكثر أهمية ورغبة عندهم؛ بينما الأولوية عند النساء في الرجل مقدرته على تدبير وضمان الموارد المالية: فعلى الرجال إذن التنافس وعلى النساء التزيّن." ANNE & BILL MOIR ٢٢١-٢٢٥, ٢٢٨.

"فالذي يريده الرجال، طبعاً، عدد وافر من النساء، إلا أن هذه الرغبة لمعظمهم يعبر عنها الرجال في أحلامهم اليقظة حسب .. هذه الرغبة تبقى في عقل الرجال أكثر مما تجود به الحياة عليهم، فهي مكبوحة في واقع الحياة. فالرجال يغرقون في أحلام اليقظة بالنساء؛ والنساء يقاومون ذلك " هذه كلمات قالتها آن وبيل موا استنتاجاً من بحوث علمية ذكرت لك بعضها حول تفوق الرجل على المرأة في مطلب الاتصال الجنسي. ويضيفان آن وبيل موا: "فلإرضاء نوبة هوى جنسية جامحة، لا تتوفر مجالات مناسبة لإشباعها، تجد الرجال غالباً يمارسون ذلك التهيج الجنسي في "أدمغتهم" التي يَعدونها المكان المناسب لاستيعابه .. فحتى في حالة أسعد رجل متزوج مضاد لإغراء نساء غير زوجته، فهذه حالة إدمان ينبغي عليه مقاومتها بتكلّف واصطناع .. ومثل رجل في هذه الحالة، يُقنع ذاته بأن مقاومته المُتَكلِّفة لإغراء

نساء أخريات غير زوجته، هو فعل نبيل لا أناني. ففي إنكار وحرمان الزوج نفسه من ممارسة الجنس خارج نطاق الزواج (بإلحاح فيض التستوسترون)، يقوم بتضحية بيولوجية لا مفر منها." ANNE & BILL MOIR ٢٢٩-٢٣٠

ارتباط البغاء بالحرمان الجنسي للرجال:

هل أن ظاهرة البغاء Prostitution وأدبيات وأفلام الدعارة Pornography ذات ارتباط بحرمان الرجال من تلبية تهيجهم الجنسي البيولوجي بما فيه الكفاية؟ سترى هنا إحصاءات عالمية عن التوسع الرهيب للبغاء وأدبيات وأفلام إباحية: فاعلم أن ستة من بين عشرة رجال متزوجين في أمريكا يمارسون الزنى. وصلت قيمة صناعة الجنس في العالم، ضمنها البغاء وأدبيات وأفلام إباحية، أكثر من ٢٠ مليار دولار في السنة الواحدة. أصبح سوق الإصدارات من أدبيات وأفلام إباحية ضخماً جداً بحيث تصدر في أمريكا سنوياً معدل ٥٠٠٠ فلم إباحي، تعداد آخذ بتوسع مطرد مُخيف، بحيث عُرف في سنة ٢٠٠٠ أن ١٠٠٠٠ فلم من هذا الصنف صدر من مدينة لوس إنجليس وحدها! في أواسط سنة ١٩٩٠ في أمريكا وحدها بلغ الاستثمار في إصدارات أفلام إباحية ٢ر٥ مليار دولار سنوياً، في حين تعادل هذه الأفلام على الفيديو ٢٥% من مجموع أفلام الفيديو المنتجة في أمريكا. أما سوق "بيع متعة الجنس" بتوفير نساء الهوى، فتدر على سماسرتها أرباحاً خيالية، كما عمّت هذه الأسواق معظم أرجاء العالم.

وفي الصين الشيوعية،شاعت ممارسة واسعة الانتشار أو التشتت بين الرجال لإقامتهم موقتاً مع خليلاتهم علاوة على زوجاتهم الشرعيات. فنتيجة لذلك، أقدمت السلطات مؤخراً على إحداث تغيرات جذرية شاملة في قوانين الزواج للحد من ظاهرة الزنا المخيفة التي عمّت الرجال المتزوجين: فبموجب القوانين الجديدة، يُعتبر فعلٌ جرميٌ لرجل متزوج يقيم مع أي امرأة غير زوجته. فالسلطات الصينية تأمل من التغيير في القانون الحد من إشاعة الزنا والاغتصاب اللذين عما البلاد. وكانت وكالة الأنباء الصينية الرسمية عقّبت على القوانين الجديدة بقولها: "تعدد الزوجات وإعالة خليلات من شأنه أن يُحط المُثُل الأخلاقية الاجتماعية." فظاهرة مزاولة رجال في الصين الجنس مع أكثر من امرأة إضافة إلى زوجاتهم، ألا يمكن ردّه إلى الإحباط البيولوجي للشهوة الجنسية الملحة عندهم، مما يدعوهم إلى البحث عن متنفس لها، حتى بوسائل غير شرعية؟ BBC Teletext: ٢٦.٠٤.٢٠٠١

فما هو موقف النساء عموماً من هذه الحركة العالمية المُخيفة لإغراق الأسواق بأدبيات وأفلام الإباحية؟ موقف النساء موقف معارض! ففي سنة ١٩٩٦ أظهر استفتاء ١٠ % فقط من النساء حسبن أدبيات وأفلام الإباحة غير مؤذية، و ٤٥% اعتقدنها فعلة خطأ ولكن غير مؤذية، و٤١% اعتقدنها إثم جُرمي. ورجال الدين يُحالفون النساء في ذلك بطبيعة الحال.

إذن بيولوجياً أو فطرياً الرجال أشد تهيجاً جنسياً من النساء بسبب تفوقهم على النساء بمقدار هرمون التستوستورن بعشرة أضعاف، وبتفوقهم في جوانب جنسية بيولوجية أخرى: فهذه حقيقة خَلقية فطرها الله العليم الحكيم، ربما أراد بها ترخيص النكاح بأكثر من امرأة واحدة إلى حد أربعة مع شرط العدالة بين الزوجات، للحد من اقتراف إثم الزنى وشيوع الفساد والمرض في الأرض من ناحية، ولضمان التناسل الحلال فاستمرار الجنس البشري من ناحية أخرى، وهو الله سبحانه أعلم بما يريد. إذن النقد الذي طالما وجهه العالم الغربي ضد تعدد الزوجات في الإسلام يصير ضعيف الأساس على ضوء المكتشفات البيولوجية الحديثة. أضف إلى ذلك، فنقد العالم الغربي هذا يرافقه حقيقة شيوع الإباحية الجنسية فيه بمختلف الأنماط وعلى نطاق متصاعد بوتائر مطردة مخيفة، سواء كانت ممارسة الإباحية الجنسية من متزوجين أو خلافهم. وفي هذا المقام، ينطبق على النقاد الغربيين لشريعة تعدد الزوجات المثل القائل: إذا كان بيتك من زجاج، فلا ترمي الحجارة على بيت آخر!

حدث طريف: توم جرين مواطن في ولاية يُوتا بأمريكا أُحيل مؤخراً للمحاكمة بتهمة زواجه من أربع: هذه حالة لم تحدث مثلها هناك لأكثر من ٥٠ سنة، وربما يواجه توم حبساً لحد ٥ سنوات. يقيم توم وزوجاته الأربع مع ٢٩ بنينه في عربة مقطورة (بيت متحرك) في صحراء يُوتا. وكان توم صرح بأنه يمارس تعدد الزوجات في العلانية في حين الكثير يمارسونه في الخفاء. ويُقدر معددو الزوجات في أمريكا ٣٠ ألف متزوج. وترجع ظاهرة تعدد الزوجات هذه إلى مذهب مورمون الذي تأسس عام ١٨٣٠م والذي أباح تعدد الزوجات⇓ ١٤.٠٥.٢٠٠١ BBC Teletext!

إذن نشوء علم جديد باسم "علم الجنس" ساعد على إزاحة الستار عن سر من أسرار الآية الكريمة التي رخّصت تعدد الزوجات، بعد ١٤ قرن من تنزّلها، وبهذا يظهر الحق كما ظهر في آيات علمية أخرى، فيبقى القرآن الكريم سبّاق للزمن ويبقى أزلي إلى يوم القيامة، فاقرأ قوله سبحانه وتعالى:

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ .. فصلت ٥٣

سيكشف الله عالم الغيب للناس جيل بعد جيل في أقطار السماوات والأرض وفي أنفسهم علامات الصنعة وبديع الحكمة الدالة على وحدته وقدرته وعزته، ليتبين للناس جميعاً أن القرآن العظيم هو الحق وقوله تبارك وتعالى: إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ. ص ٨٧-٨٨

في اختتام سورة ص كما في افتتاحها (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) يذكّر سبحانه العالمين بأن القرآن نبأ عظيم، فإن لم يلقون بالهم إليه اليوم، فليعلمن نبأه بعد حين جيل بعد جيل: في الكون وفي الإنسان.

خلاصة معجزة: وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى

إذا كان مطلب بعض السياسيين والاجتماعيين بمعاملة النساء والرجال بالتساوي باعتبارهما متساويين في الخلق؛ على حين أثبتت الحقائق العلمية العكس: وإذا تجاهلنا الثوابت العلمية في هذا الخصوص، فيصبح المطلب إذن بمثابة كذبة بيولوجية، أي صرف النظر عن ثوابت علمية تتصل بخلق الجسد والدماغ لكل من الجنسين. فإلى متى التظاهر بتساوي النساء مع الرجال رغم اختلافهما بيولوجياً؟ فالوقت حان لمراجعة الموقف التقليدي القديم حول مساواة المرأة بالرجل الذي عمّ أرجاء من العالم. وحان الوقت لتصفية الخرافة الاجتماعية القائلة: الرجال والنساء متعاوضون، أي يمكن قيام أحدهم بدور الآخر. ولكن اعلم أن الرجل يختلف عن المرأة، مهما تحمست الدعوة إلى المساواة بينهما. في حين هما متساويان فقط باعتبارهما من نفس الجنس، الجنس البشري. فكل من يدعو إلى تساوي المرأة والرجل في المدركات، المهارات، الاستعدادات، السلوك، فهو يدعو دون أن يدرك إلى بناء مجتمع على أساس كذب بيولوجي (أحيائي) وعلمي. وبتعبير بسيط: الجنسان متباينان لأن دماغ كل منهما متباينان: فكما للمرآة جسد أنثوي فلها دماغ أنثوي، وكما للرجل جسد ذكري فله دماغ ذكري. فيُصاغ دماغ الجنين الذكر إلى بنية ذكريه لتعرضه في الرحم إلى جرعات كبيرة من هرمونات منشطة الذكورة، التستوسترون،

حيث تقدر عموماً كمية تلك الهرمونات عند الذكر في سن البلوغ عشرة أضعاف الكمية عند الأُنثى، أو ١٠٠٠% مما في المرأة. فمن أُنثى تتصرف تصرف الرجال، كان دماغها تعرض في الرحم إلى كميات غير اعتيادية من هرمونات الذكورة. والدماغ هو الجهاز الإداري والعاطفي المركزي لحياة الإنسان، وتختلف بنيته في الرجال عن النساء من الفطرة، فتنتج اختلافات بين الجنسين في العمليات العقلية والقدرات الفكرية وفي المهارات والاستعدادات؛ ويتعامل الدماغ مع المعارف المستلمة بطريقة مختلفة بين الجنسين، مما يؤدي إلى اختلاف في المدركات، ترتيب الأسبقيات، السلوك، ونحو ذلك. فدعوى المساواة بين الجنسين تتعارض مع الفطرة ومع العلم.

وتأمل في حالة متعارف عليها تفرّق الرجال عن النساء: فأبرز خصال سلوكية تميز الرجال عن النساء العدوانية والمغامرة، المخاطرة، المنافسة، الجزم والإصرار والزعم، الولوع إلى السلطوية، هي خصال جُبلية غير مكتسبة: وإلى هذه الخصال تُعلّل هيمنة الرجال بدرجة كبيرة على مدار التاريخ. فالرجال لم يكتسبوا سلوكية المغامرة مثلاً عن طريق التعليم أو الممارسة أو نتيجة مؤثرات اجتماعية أو بيئية؛ وليس في مدرسة درس يعلم المغامرة وتكتيكها؛ بل حتى العلماء المختصين في مجال الفوارق بين الجنسين، يقرون بأن هذه الخصال متميزة عند الرجال لأن نسبة هرمون التستوسترون عندهم عشرة أضعاف ما عند النساء ١٥ Moir [1].

فحتى هذه المرحلة من البحث العلمي في فوارق بنية الدماغ بين الذكر والأنثى، ذلك يدعو إلى التفكير والتأمل في مسألة إعادة النظر في الأنظمة والسياسات التربوية المعتمدة في المدارس في الوقت الحاضر وفي أوصاف الأعمال التي تليق لكل من الجنسين وبطريقة تقر وتعتمد تلك الفوارق البيولوجية. أو بعبارة صريحة، هل نترك أنظمة الدراسة المختلطة بين الجنسين وتوفير فرص عمل متساوية للجنسين على حالها الحاضر من دون تغيير رغم ظهور ثوابت علمية عن الفوارق بينهما؟ رأي بعض علماء الأعصاب أن يوماً سيأتي لمراجعة الأنظمة والسياسات التربوية الحالية، حتى لو اقتضى الأمر مثلاً التخلي عن المدارس المختلطة وإنشاء مدارس خاصة بالذكور وأخرى خاصة بالإناث على ضوء الفوارق الفطرية في دماغ

www.eajaz.org

كل منهما، بجانب تحديد أعمال تليق بالذكر وأعمال تليق بالأنثى على ضوء الفوارق العقلية والبدنية بينهما. وإليك دراسة حديثة في المملكة المتحدة مما يعزز خيار التعليم في مدارس لجنس منفرد وأفضليته على مدارس تعليم مختلط: أُجريت الدراسة على ١٠٠ مدرسة نموذجية ذات ١٢ درجة، ١٠ منها فقط ذات تعليم مختلط و ٩٠ ذات تعليم منفرد (منها للذكور وأخرى للإناث). وبعد تفحص نتائج الاختبار السنوي، ظهر أن النتائج لمدارس جنس منفرد للبنين ٢٠% أفضل من نتائج بنين في مدارس مختلطة، وذات الحال بالنسبة لإناث في مدارس للإناث مقارنة بنظيراتهن في مدارس مختلطة. وفي سنة ١٩٩٦ أجريت مراجعة لنتائج اختبار سنوية لمدارس ثانوية للبنات، فأظهرت تفوقهن على نظيراتهن لمدارس ثانوية مختلطة!

لعلك أدركت أن المرأة بيولوجياً تتميز على الرجل في نواحي تعدها لأداء الدور اللائق بها: فهي مثلاً تتميز في الإبصار المحيطي، في الأبصار ليلاً، السمع والتذوق واللمس، الحدس، مهارات اللغة واللباقة،المقدرة على أداء أعمال متعددة، التفاعل مع أفراد أعلى عن التفاعل مع أشياء، النزعة نحو مجالات ذات طابع اجتماعي وشخصي، أقل تقيداً بالقواعد من الرجل، ونحو ذلك: كل ذلك ضروري لأداء متطلبات البيت المتشابكة من ضمنها التربية والرعاية المباشرة للأطفال بخاصة تعلقهم الفطري الحاسم بالأم أكثر من الأب، بالإضافة إلى ممارسة نشاطات ذات طابع اجتماعي أو شخصي، أو ذات طابع إنساني وخيري خارج قيود القواعد، أو القيام بأعمال مكتبية رتيبة.

إن الإنسان بجنسيه يجني فوائد عُظمى من حياته إذا أدرك العالم كما هو مخلوق؛ وليس بمحاولة منه إنشاء عالم حسب مشيئته ورغباته من أسس ومفاهيم يجهلها. فالرجال والنساء بإمكانهم العيش معاً بسعادة أكثر، بتفهم وحب بعضهم البعض بدرجة أعلا، بتنظيم العالم إلى مصير أفضل، إذا أقر كل من الجنسين فوارقه عن الجنس الآخر. وبذلك يتمكن الجنس البشري من بناء حياته على دعامتين ثنائيتين متميزتين من حيث الهوية الجنسية. لقد آن الأوان لإيقاف الجدلية العقيمة غير المجدية بأن الرجال والنساء خُلقوا متماثلان؛ فهم لم يُخلقوا هكذا، ولا يمكن لأي مثالي أو مناد بإصلاح أن يغير هذه الحقيقة الفطرية الناصعة التي قضاها سبحانه لعباده الذكور والإناث. وعلينا أن نقر ونتقبل بأن الرجال أقوياء وضعفاء في مجالات، حيثما النساء قويات وضعيفات في مجالات: فتمكنت آن موا مثلاً من جمع إحصاءات من مختلف المصادر حول نسبة الرجال والنساء في ممارسة أعمال مختلفة، حيث تبين أن مقابل امرأة واحدة تسعة

رجال في مناصب سلطوية عليا![⊕]. والأمل هو النهاية لشعارات مصطنعة زائفة لمساواة المرأة بالرجل في كافة المجالات، والبديل الصائب الحكيم هو الإقرار بالفوارق البيولوجية بينهما ثم قيامهما بالدور اللائق لكل منهما من أجل أداء متكامل لمختلف نشاطات الحياة. فدعنا نسلّم بحقيقة بيولوجية هي أن الرجل والمرأة لم يُخلقا متساويان؛ إنما خُلقا متكاملان، فنستمر على الحياة على هذا المنوال. مايكل لَفِن **Michael Levin** بروفيسور فلسفة في جامعة المدينة بنيويورك كتب يقول **Moir** ١٩٠:

"أدركت أن معظم النساء يجدن في الأمومة رضاء تاماً، ومعظمهن كأمهات لا يتمتعن بالوا لدية أكثر من الآباء حسب؛ إنما بالأحرى هن أفضل في أدائها، أي هن أكثر ملائمة للوالدية من الآباء. فوقوف المرأة الأم على إطعام الجيل الخلَف وكساءهم وتربيتهم وتعليمهم هي مهمة رفيعة نبيلة ترقى على مهمة كسب المال من خلال العمل."

المراجع:

١. **Baggott, Linda M, Human Reproduction, University of Cambridge ١٩٩٧.**
٢. **Haughton, Emma, Equality of the Sexes, Franklin Watts Londn ١٩٩٧.**
٣. **Jensen, Eric, The Learning Brain, Turning Point Publishing, USA ١٩٩٥.**
٤. **Maccoby, Eleanor, Social Development: Psychological Groth and the Parent-Child Relationship,**
٥. **Moir, Anne & Bill, Why Men Don't Iron? HarperCollins Publishers UK١٩٩٩.**
٦. **Moir, Anne & Jessel, David, Brainsex, Mandarin Paperback UK ١٩٩١.**

الهوامش

Θ لكل من الخصية والمبيض وظيفتين رئيستين: إنتاج الخلية المشيجية (الحُيَي والبويضة) وإنتاج الهرمونات: هرمونات الذكورة أو منشطات الذكورة Androgenes أهمها هرمون التَّستوستورن، وهرمونات الأنوثة ستروجين Oestrogenes والجسْفرون Progesterone. إنتاج هرمونات الذكورة من الخصية وهرمونات الأنوثة من المبيض تتحكم فيه هرمونات تناسلية يفرزها الفص الأمامي للغدة النخامية Pituitary Gland الموجودة تحت وطاء الدماغ Hypothalamus، التي ذاتها تسيطر على هذه الغدة، حيث توجه الهرمونات المفرزة لكل من الجنسين في الدورة الدموية حتى بلوغها العضو التناسلي المعني Baggott ١٣ !

⇓ أجريت تجربة في هذا المجال بأن طلب من رجل معالجة مشكلة بصرية باستعمال العين اليسرى فقط والتي تغذي المشكلة إلى الجانب الأيمن من دماغه، وطلبت من امرأة معالجة ذات المشكلة باستعمال كلا العينين، فكان إنجاز الرجل أفضل! .

⇑ ويدرج علماء الأعصاب فوارق بنيوية أخرى بين دماغ الذكر ودماغ الأنثى، حيث بدا لهم أن التأثيرات الهرمونية هي الصانع الرئيس لهذه الفوارق. فدماغ الذكر متباين عن دماغ الأنثى في الجوانب التالية من الدماغ: ٢٨٩-٢٨٨ Jensen
طول وتشعبات الموصلات بين خلايا الدماغ العصبية (العصبات) Neurones، التي من خلالها تمر رسائل كيميائية تطلقها الهرمونات إلى مختلف مواقع الدماغ.
كتلة وشكل خلايا وطاء الدماغ Hypothalamus، الذي يسيطر أساساً على السلوك الجنسي، كذلك شكل النواة في وطاء الدماغ.
الطرق التي تسلكها الناقلات العصبية.
كثافة جدائل العصبات، في الذكر أكثف من الأنثى؛ وخلايا العصبات لدماغ الذكر ثماني مرات أكبر من الأنثى. .
سمك الجانب الأيسر والأيمن لمراكز القشرة المسيطرة في الدماغ Cerebral Cortex، الذي يتحكم في السلوك المعقد.
عدد عصبونات الفازوبريسن (عصبونات مقيتات الأوعية) Vasopressinفي وطاء الدماغ.
سمك ووزن الجسم الجاسئ Corpus Callosum (كتلة ألياف عصبية تصل بين الجسمين نصف الكرويين للدماغ).

Π معنى لفظة مريم في اللغة السريانية مرتفع وجمعها مريمات أي مرتفعات. ولو كانت امرأة عمران في دعائها تنتظر مولوداً ذكراً؛ ولكنه سبحانه وتعالى أراد المولود أنثى، هي مريم الطاهرة العابدة سيدة نساء أهل الجنة، ولكي تلد عيسى٤ على غير مثال من ولادة البشر.

□ من تجارب أحد الباحثين في هذا المجال أن حاول كبت سلوكية المغامرة لدى أحد الأطفال بتزويده لعبة تتألف من مجموعة أشخاص مدنيين ومدرسين بدلاً عن مجموعة جنود. وأثناء مراقبة الطفل عدة مرات، وجده الباحث ينظم معركة بين مجموعة المدنيين ومجموعة المدرسين، لذا لم يتمكن الباحث من تغيير سلوك المغامرة الفطري لدى الطفل Moir & Jessel: ٨

⇓ أجريت تجربة في هذا المجال بأن طلب من رجل معالجة مشكلة بصرية باستعمال العين اليسرى فقط والتي تغذي المشكلة إلى الجانب الأيمن من دماغه، وطلبت من امرأة معالجة ذات المشكلة باستعمال كلا العينين، فكان إنجاز الرجل أفضل! .

⇓ ومرة أخرى في ذات السورة يصرح القرآن الكريم بما هو كامن في نفس الإنسان من ازدواج، فيوجهها إلى سبيل التقوى: وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا. النساء ١٢٩: فكلام الله تعالى هنا حول فطرة نفس الإنسان وميلها إلى ما ليس له عليها سيطرة: فقلب زوج قد يميل إلى زوجة أكثر من زوجاته الأخريات، فيفضلها عليهن ظاهراً في المعاملة: هذا الميل نابع من فطرة الإنسان التي لا حيلة له بها، ولا يحاسبه الإسلام عليه؛ إلا إذا كان ميله كلياً ظاهراً إلى درجة يُشعر كل من بقية الزوجات بالإهمال، فلا تكن زوجة ولا تكن مطلقة: فهذا مُنهى عنه وهو الميل الملموس في المعاملة. والرسول الكريم ﷺ كان رمزاً للعدل بين نسائه الكريمات؛ ولكن رغم ذلك، نجده يلتمس ربه الأعلى بالعفو عند الميل، بقوله: "اللهم هذا قسمي فيما أملك. فلا تلمني فيما تملك ولا أملك."

⇓ المورمونيون Mormons: طائفة دينية أمريكية أنشأها جوزيف سميث عام ١٨٣٠ في نيويورك: ادعى سميث أن ملكاً لاح عليه فمنحه لوحة ذهبية منقوشة بتعاليم من السماء، فترجم النقوش إلى الإنكليزية ثم أصدرها كتاباً سماه "كتاب مورمون". وبموجب الكتاب أنشأ كنيسة خاصة سماها "كنيسة عيسى المسيح للقدسين الختاميين"، مركزها حالياً في ولاية يوتا بأمريكا: يُقدر عدد التابعين إلى هذه الكنيسة تسعة ملاين وسبعمائة ألف مورموني، نصفهم في اللايات المتحدة والبقية في أمريكا اللاتينية، كندا، أوربا، وبقع أخرى من العالم.تعاليم هذا المذهب الأساسية: الملكية الجماعية؛ إباحة تعدد الزوجات، إذ تزوج سميث نفسه ومعظم قادة الطائفة بأكثر من زوجة واحدة ولكن تخلت الطائفة عن ذلك نتيجة ضغط الحكومة الفدرالية الأمريكية؛ الاعتقاد بعودة عيسى المسيح ثانية إلى الأرض لتحقيق العلد والسعادة فيها ولفترة ١٠٠٠ سنة، تسمى هذا المعتقد "العصر الألفي السعيد Millinery.

□ من تجارب أحد الباحثين في هذا المجال أن حاول كبت سلوكية المغامرة لدى أحد الأطفال بتزويده لعبة تتألف من مجموعة أشخاص مدنيين ومدرسين بدلاً عن مجموعة جنود. وأثناء مراقبة الطفل عدة مرات، وجده الباحث ينظم معركة بين مجموعة المدنيين ومجموعة المدرسين، لذا لم يتمكن الباحث من تغيير سلوك المغامرة الفطري لدى الطفل Moir & Jessel: ٨

⊕ تمكنت آن موا من جمع إحصاءات من مختلف المصادر حول نسبة الرجال والنساء في ممارسة أعمال مختلفة، أوردها لك هنا لقيمتها في هذا البحث ١٨٩ Moir:

٨٩% من السياسيين في العالم رجال؛ ٩٤% من وزراء المجالس الوزارية في العالم رجال؛ ٨٩% من المديرين في العالم رجال؛ ١٠٠% من مشاهير المهندسين المعماريين في العالم رجال؛ ٩٨% من المديرين الأعضاء في مجالس إدارة في ٧٠٠٠٠ شركة ألمانية رجال؛ ٨٦% من الـ ١٠٠٠ شركة عظمى في بريطانية ليس في مجالس إدارتها عضو نسوي؛ ٩٦% من أعضاء مجالس إدارات كل الشركات في بريطانية رجال؛ ١٠٠ % من الشركاء لشركات قانونية في لندن رجال، و ٨٤% من الشركاء لذات الشركات في بريطانية رجال؛ ٩٢% من أساتذة الجامعات البريطانية (بروفيسور) رجال، والنسبة المتبقية نساء في حقول الطب والتربية والمكتبات؛ ٩٦ من مديري شركات الإعلان في بريطانية رجال؛ ٩١% من المديرين المتقدمين في الخدمة المدنية الحكومية في بريطانية رجال؛ ٩٤% من قضاة المحاكم العليا في بريطانية رجال؛ فقط ٢٠% من الكتبة رجال و٨٠% نساء؛ ٩٩% من براءات الاختراع مسجلة من رجال: فتؤشر هذه الإحصاءات على أن مقابل امرأة واحدة تسعة رجال في المناصب السلطوية العليا!